

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[61] والعجيب أن عددًا من "خيوط العنكبوت" المنسوجة على مدخل الغار كانت سببًا لـ انحراف فكر الأعداء الألداء، وأن يعودوا قافلين آيسين بعد وصولهم إلى هذا الغار، وأن يسلم الذبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من كيدهم. فحيث أن بإمكان الله أن يغيّر مسير التاريخ، ببضعة خيوط من نسيج العنكبوت، فأية حاجة بهذا أو ذاك ليدي كل معاذيره!! وفي الحقيقة فإن جميع هذه الأوامر هي لتكامل المسلمين أنفسهم، لا لرفع الحاجة لدى الله سبحانه... وتعقيبًا على هذا الكلام يدعو المؤمنون جميعًا مرة أخرى - دعوة عامة - نحو الجهاد ويعنف المتسامحين فيقول سبحانه: (انفروا خفافاً وثقالاً). "الخفاف" جمع الخفيف، "الثقال" جمع الثقيل، ولها تين الكلمتين مفهوم شامل يستوعب جميع حالات الإنسان. أي انفروا في أية حالة كنتم شباباً أم شيوخاً، متزوجين أم غير متزوجين، تعولون أحداً أم لا تعولون، أغنياء أم فقراء، مبتلين بشيء أم غير مبتلين، أصحاب تجارة أو زراعة أم لستم من أولئك! فكيف ما كنتم فعليكم أن تستجيبوا لدعوة الداعي إلى الجهاد، وأن تنصرفوا عن أي عمل شغلتكم به، وتنهضوا مسرعين إلى ساحات القتال، وفي أيديكم السلاح. وما قاله بعض المفسرين من أن هاتين الكلمتين تعنيان مثلاً واحداً ممّا ذكرنا آنفاً، لا دليل عليه أبداً، بل إن كل واحد ممّا ذكرناه مصداق جلي لمفهومها الواسع. ثم تضيف الآية قائله: (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) أي جهاداً مطلقاً عاماً من جميع الجهات، لأنهم كانوا يواجهون عدوًّا قويًّا مستكبراً، ولا يتحقق النصر إلاّ بأن يجاهدوا بكل ما وسعهم من المال والأنفس. ولئلا يتوهّم أحد أن هذه التضحية يريدّها الله لنفسه ولا تنفع أصحابها، فإنّ الآية تضيف قائله: (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون).